أن موضوع تجسد المسيح من الموضوعات التى تولد في أذهان الكثيرين العديد من التساؤلات ونحن سنحاول معاً الإجابة علي معظم هذه التساؤلات أقتباساً من كتاب الله ظهر في الجسد الصادر عن مطبوعات " نظرة للمستقبل " للدكتورالقس منيس عبد النور.

في البداية سوف نتطرق لتناول كل ما يتعلق بألوهية المسيح ، فالشهادة عن ألوهية المسيح هي أهم شهادة فهو لم يكن يتمتع بشركة متواصلة بالله فحسب بل كان لديه أقتناع واضح أنه هو نفسه ذو طبيعة إلهية. فلقد شهد المسيح أنه يتمتع بصفة الألوهية.

ولابد لكل من يدرس العهد الجديد بطريقة موضوعية أن يصل إلى نفس النتيجة ، ولقد شهد المسيح عن ألوهيته في مواضع كثيرة في الأناجيل نذكر منها : ـ

"الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني، والذي يراني يري الذي أرسلني "يوحنا12:44 ، وقال **" لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله " يوحنا 5 :23** ، وفي مثل الكرامين الأشرار كشف المسيح أنه الابن وارث الكرمة ، وأعطى نفسه مركزاً أسمى من الأنبياء . فهو الذي رُفض وذُبح ، كما أنه الذي صار **" رأس الزاوية " متى 21: 33 – 45** وتشهد كلمات المسيح في الأسبوع الأخير من حياته على الأرض أنه الله ، فلو ان انساناً عادياً قال ما قاله لاعتبره البشر مجدفاً ، لكن يسوع حث تلاميذه على أن يكون إيمانهم به مماثلاً لإيمانهم بالله ، **فقال " أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي " يوحنا 14 :1 .**

كذلك تتفق شهادة كُتاب العهد الجديد مع تعاليم المسيح وشهادته عن ألوهيته . ونستطيع أن نقول بالحق ان هؤلاء أنسب وأصدق شهود لألوهيته لأنهم عرفوه عن قرب . وقال عنهم المسيح :**" وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء " يوحنا 15: 27** ومن بين الكثير من الشهادات عن ألوهيةالمسيح نذكر منها :ـ

ـ <u>شهادة الملاك جبرائيل :</u>ذهب الملاك جبرائيل إلى العذراء مريم وأخبرها أنها ستكون أماً للمسيح المنتظر فقال لها إنها **" ستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه سيخلص شعبه من خطاياهم " متى 1: 21** وهذه مهمة يستحيل على إنسان أن ينجزها .

شهادة المجوس : (حكماء المشرق) أصحاب البصيرة الروحية المعجزية ،فبعد سفرهم الطويل طلباً للملك المولود **" خروا وسجدوا له " متى 2: 11** وهو سجود لا يجوز تقديمه إلا لله .

شهادة يوحنا المعمدان : قال أنه مجرد ممهد لطريق الآتي بعده وهو أعظم منه بكثير ، حتى أن يوحنا لا يستحق أن يحمل حذاءه ، أي أن يكون خادماً له **(متى 3 :11)** .

شهادة الرسول بطرس : قال بطرس للمسيح **:" أنت هو المسيح ابن الله الحي " متى 16:16**،بالأضافة لذلك قيام الرسل بالمعجزات دليل على ألوهية المسيح ، فنجد بطرس يشفي الأعرج الشحاذ الجالس عند باب الهيكل باسم يسوع المسيح الناصري.

شهادة توما : حيث سجد للمسيح وقال له **" ربي وإلهي " يوحنا 20 : 28** . وقبل المسيح سجوده واعترافه .

شهادة استفانوس :وهو أول شهيد مسيحي فقال قبل استشهاده **:" ها أنا أنظر السماوات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله " (أعمال 7 :5) .**

شهادة بولس : إنه بولس شهد في تعليمه مراراً لألوهية المسيح ، فكتب لتلميذه تيموثاوس يقول يُعلم أن الله تجسد في الإنسان يسوع المسيح **" وبالإجماع عظيم هو سر التقوى : الله ظهر في الجسد "(1 تيموثاوس 3: 16)** ، والجدير بالذكر أن بولس الرسول يشير إلى القيامة كبرهان حاسم على لاهوت المسيح فيقول **:" وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة ، بالقيامة من الأموات : يسوع المسيح ربنا " (رومية 1: 4) .**

شهادة قيامة المسيح : وهى البرهان الأعظم على طبيعته الإلهية . لم يكن موت المسيح وقيامته رغم إرادته ، بل كانا في نطاق قوته واختياره ، فقال عن حياته **: " ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي . لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً " يوحنا 10 : 18.**

شهادة تاريخ الكنيسة : تُظهر سجلات التاريخ منذ نشأة الكنيسة ان الشهود قدموا شهادتهم لسيدهم وربهم بكل أمانه ، واستشهد كثيرون منهم في سبيل إيمانهم بالمسيح ، وهناك مؤمنون لم ينتسبوا إلى مجموعة رسل المسيح ، منهم قائد الكتيبة الرومانية المكلفة بصلب المسيح ، فأعلن: **" حقاً كان هذا الإنسان ابن الله ! " مرقس 15 : 39.**

وما لا يمكن أن نغفل عن الأشارة إليه هو شهادة الأبالسة (الكائنات الملائكية الذين سقطوا وأصبحوا شياطين) الذين كانوا على معرفة بعظمة المسيح الإلهية قبل تجسده ، عندما أمرهم المسيح أن يخرجوا من الأشخاص الذين كانوا قد سيطروا عليهم ، صرخوا وهم يخرجون :

" ما لنا ولك يا يسوع ابن الله ؟ أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا ؟" متى 8 :29 .

وأمام هذه الشهادات الكثيرة التي ذكرناها أوالتي لم نذكرها عن ألوهية المسيح تكون النتيجة الطبيعية لذلك أن المسيح كائن من قبل ميلاده فلقد عرفنا المسيح أن وجوده لم يبدأ عند ولادته في بلدة بيت لحم ، بل إن وجوده سابق لميلاده من العذراء المباركة ، إنما هو " أتى " أو " نزل" من السماء إلى الأرض ، وأنه " أُرسل من الآب " الأمر الذي يشهد لأصله السماوي ، فليس لوجوده بداية ولن تكون له نهاية ، فهو البداية والنهاية .

وهذا يدل على أن علة وجوده هى من ذاته وليست من مصدر خارجي . وقوله " أنا كائن " هو اسم الجلالة الذي ورد في التوراة **" أهيه الذي أهيه " (خروج 3 : 14)** ويعني عظمة الله وجلاله ، وليس فقط وجوده ." أهيه " أو " يهوه " هو الاسم العبري لله ، والمترجم في العربية "الرب" . والترجمة الحرفية للتعبير " أهيه الذي أهيه " هى : " الكائن الذي هو كائن " وهو الاسم الذي يعلن أن الله هو وحده الكائن الأزلي ، الذي وحده يتصرف بكل حرية واستقلال . وهو الاسم الذي عرّف به الله نفسه لعبده موسى . ونسب يسوع لنفسه ذات الاسم " الكائن الذي هو كائن " أي الله الكائن بذاته منذ الأزل . وهو الاسم الذي نسبه سفر الرؤيا للمسيح فيقول :**" أنا الألف والياء ، البداية والنهاية ، الأول والأخر " (رؤيا 22 : 13) .**

ونجد الكثير من الشهادات التي تثبت ذلك خلال أسفار العهد القديم والجديد ، فلقد سجّل أنبياء العهد القديم نبوات بخصوص المسيح المنتظر تؤكد حقيقة وجوده قبل مجيئه إلى الأرض ، أظهرت أن وجوده أزلي ، وقبل أن يوجد الزمن نفسه . هذا ما وضحه النبي ميخا الذي كتب سفره نحو عام 700 ق م . فقال في نبوته عن مكان ولادة المسيح **:" أما أنتِ يا بيت لحم أفراته ، وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل " (ميخا 5 :2)** والنبي إشعياء الذي عاش معاصر للنبي ميخا قال:**"ويُدعى اسمه عجيباً،مشيراً، إلهاً قديراً ، أباً أبدياً ، رئيس السلام "(إشعياء 9 :6)**

وقال كاتب رسالة العبرانيين **:" يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد " (عبرانيين 13: 8)** . فالمسيح " هوهو " في هذا الجيل الحاضر كما في الماضي القريب أو البعيد " هوهو" في المستقبل أيضاً . وفي هذا المسيح الثابت ، الذي لا يعتريه تغيير ولا ظل دوران ، يجد المؤمن سنده وملجأه الأبدي الأكيد .

ـ والجدير بالأشارة أن المسيح يتفرد بأنه الشخص المُنتظر مجيئه ، فلا توجد توقعات بمجئ غيره من الشخصيات التاريخية كالإسكندر الكبير أو نابليون أو غيرها . أما المسيح فكان المخلص المنتظر . فمنذ سقوط أبوانا الأولان آدم وحواء في خطية العصيان ، جاءهما الوعد الإلهي بقدوم المخلص ، وأن نسل حواء سيسحق رأس الحية (تكوين 3 :15). وهذا ما تحقق في عمل المسيح الكفاري وانتصاره على إبليس . وقد وُصف في الأسفار المقدسة أنه " نزل " من السماء إلى الأرض ؛ وشارك الآب في مجده منذ الأزل ؛ وقال **: " خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم ، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب " (يوحنا 16 :28)** .
وتؤكد كلماته هذه أنه يعتبر نفسه زائراً للأرض من عالم أسمى ، وأنه جاء في مهمة سماوية خاصة على الأرض لخلاص البشر وفدائهم .

قال أحد كبار اللاهوتيين :" في دراستنا ليسوع المسيح ، من المهم جداً أن نفهم حياته في ضوء وجوده السابق لقدومه إلى عالم البشر . فلم يكن تجسده مجرد ولادة رجل عظيم ، لأن تجسد المسيح يعني دخول الله إلى حيز ومحيط وجود البشر . ونحن نؤمن أنه في يسوع المسيح نلتقي وجهاً لوجه مع الإله المتجسد . وإدراكنا لهذا الأمر يولّد فينا تقديراً للخدمة التي جاء للقيام بها ، فإن ابن الإنسان**"لم يأتِ ليُخدم بل ليخدم،وليبذل نفسه فدية عن كثيرين " (متى 20 : 28)** .

وفي تناولنا لألوهية المسيح لا يمكن أن نغفل عن طرح ألقاب المسيح ، فلقد كانت ألقاب المسيح إلهية وذلك منذ أن أعلن الملاك ليوسف ولمريم أن اسم الطفل سيكون " يسوع " ومعناه مخلص ، فقال ليوسف عن مريم **:" فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم "(متى 1: 21) وقال لمريم :" وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع " (لوقا 1 :31)** . ويسوع هو الصيغة اليونانية للاسم العبري " يشوع " الذي يعني " يهوه هو الخلاص ". وقد عبر هذا عن أهمية المهمة الخلاصية التي جاء يسوع المسيح لينجزها .

واسمه" المسيح " ومعناه " الممسوح" من الله وهو اللقب المعروف لمن يخلص الآخرين ، وكثيراً ما استُعمل كاسم علم. ولهذا أساس قوي ومتواصل في تاريخ إسرائيل فكانوا يمسحون ملوكهم بالزيت فكان الملك أحياناً يُدعى " مسيح الرب " ،

إذاً لقب المسيح هو للتذكير أن الملك عظيم جداً . أما الاسم المركب " يسوع المسيح " فيعني " المخلص الممسوح " أي المخلص صاحب المكانة عند الله .

في الواقع يبين لنا العهد الجديد أن يسوع تقبل من الناس أسمى الألقاب ، فسمح ان يصفوه بما يوصف به الله ، مع أنه منع غيره من قبول القاب مثل " المعلم " أو " السيد " (متى 23 :8- 10) بينما قبلها لنفسه ، بل أنه مدح من نادوه بها وقال :" **أنتم تدعونني معلماً وسيداً ، وحسناً تقولون لأني أنا كذلك " (يوحنا 13 :13).** وعندما كانوا يهيئون لدخوله الانتصاري لأورشليم ، أرسل اثنين من تلاميذه ليأتيا بجحش ، وأمرهما أن يقولا لصاحبه إن " الرب محتاج إليه " (مرقس 11 :3) .

لقد نُسبت أسماء كثيرة ومتنوعة لله في العهد القديم ، نسبها العهد الجديد أيضاً للمسيح فعندما سجل البشير متى ولادة المسيح نسب إليه الاسم " عمانوئيل " ، ورأينا أن يسوع دُعى " رباً " مرات كثيرة في العهد الجديد ، الأمر الذي يورده العهد القديم كثيراً في النبوات عن المسيح ، وقد نسب العهد الجديد ليسوع اسم " الله " أكثر من عشر مرات ، والجدير بالأشارة أن علماء تفسير الكتاب من شتى المذاهب قد أتفقوا على أن يسوع ، كما أعلن عنه العهد الجديد ، هو نفسه رب العهد القديم . فكتبة العهد الجديد ينسبون للمسيح أقوالاً من العهد القديم كانت في أصلها تشير إلى " أدوناي " أو " يهوه " اسمي الإلوهية في العهد القديم .

ويمكننا أن نسرد الألقاب التي دُعى بها المسيح على مدى أسفار العهد الجديد وهى كالأتي :ـ

<u>فى إنجيل متى :</u>

" يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم " (1 :21)

" عمانوئيل ، أي الله معنا " (1 :23)

" المسيح ابن الله الحي " (16 :16)

" يسوع المسيح " (16 :20)

" ابن الإنسان " (17 :9)

" معلم " (23 :10)

<u>فى إنجيل لوقا :</u>

" يسوع الناصري ، قدوس الله " (4 :34)

" في إنجيل يوحنا :

" الكلمة " (1:1)

" كل شئ به كان " (1 :3)

" كون العالم به " (1 :10)

" الابن الوحيد " (1 : 18 ، 3 :16)

" ابن الله " (1 :34 ، 49 و 20 : 31)

" ملك إسرائيل " (1 :49)

" الطريق والحق والحياة " (14 :6)

في سفر أعمال الرسل :

" القدوس البار " (3 :14)

" رئيس الحياة " (3 :15)

في الرسالة إلى رومية :

" إلهاً مباركاً " (9 :5)

في الرسالة الأولى إلى كورنثوس :

" قوة الله وحكمته " (1 :24)

في الرسالة الثانية إلى كورنثوس :

" صورة الله " (4 :4)

في الرسالة إلى غلاطية :

" فادي " (3 :13)

في الرسالة إلى فيلبى :

" رب " (2 :11)

في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس :

" رب الأرباب " (6 : 15)

في الرسالة إلى العبرانيين :

" بهاء مجد الله ورسم جوهره " (1 :3)

" رئيس الخلاص " (2 :10)

في رسالة بطرس الثانية :

" المخلص " (1 : 1)

في سفر الرؤيا :

" القادر على كل شئ " (1 :8)

" الأول و الآخر " (1 :17)

" الحي " (1 :18)

وفي تناولنا لألقاب المسيح يمكننا أن نطرح لقب " المسيح ابن الله " بأعتباره أهم الألقاب التي نُسبت للمسيح ، فهو اسم يسترعى الانتباه ، لكرامة المسيح ، وخاصة من جهة ألوهيته التي تدل على أنه مؤهل تماماً للتحدث عن أمور الله .

فيجب أن نفهم تعبيري " الآب " و " الابن " ففي المفهوم العبري أن " الآب " و " الابن " نظيران متطابقان ومتساويان في الطبيعة والكيان . ففي كل مرة يدعو فيها الكتاب المقدس المسيح " ابن الله " يقصد أن ينبر على حقيقة وأصالة ألوهيته . فهو يحمل نفس طبيعة الآب . وكما أن أي ابن بشري تكون طبيعته بشرية مطابقة لطبيعة أبيه ، هكذا المسيح ابن الله هو مثل أبيه في جوهر طبيعته الإلهية ، تلك الطبيعة التي لا يشارك فيها الله أي مخلوق .

الآب والابن والروح القدس هم واحد، معاً في جوهرهم وطبيعتهم وأزليتهم ، وهم متساوون في القدرة والمجد كانوا ولا زالوا موجودين في أقانيمهم الثلاثية المتميزة .

وعلينا أن نتذكر أن الاسمين "الآب " و "الابن " ليسا بالضرورة كافيين للتعبير الكامل والتام عن العلاقة التي تربط الأقنومين الأول والثاني في الثالوث ، ومع ذلك يبقى هذان الإسمان أفضل ما لدينا نحن البشر للتعبير عن هذه العلاقة ، فإنهما يعبران ليس فقط عن وحدتهما في الجوهر والطبيعة ، بل أيضاً عن علاقة المحبة

المتبادلة بينهما . فالمسيح هو ابن الله منذ الأزل ، أما نحن فنصير أولاد الله بعد أن ننال التبني بالنعمة . المسيح هو ابن الله بحقه الأزلي الخاص ، أما نحن فنصبح أولاداً لله بعدما نُولد من جديد وننال الحياة الجديدة في المسيح ، فيُحسب لنا بره وطهارته . وصيرورتنا أولاداً لله لا تعني أن تكون لنا الألوهية التي للمسيح ، لكنها تعني أننا قد عدنا إلى مشابهة أخلاقية وروحية أكمل من تلك التي كانت لنا عند بدء الخليقة ، والتي تشوهت وتحطمت معالمها بواسطة الخطية . الله هو أب الرب يسوع المسيح بمعنى خاص يختلف كل الاختلاف عن كونه أب المؤمنين به . صحيح أن يسوع حدث تلاميذه عن الله كأبيهم الذي في السماوات ، لكنه في الوقت نفسه أظهر أن أبوّة الله لهم هي بمعنى محدود وليس بالمعنى غير المحدود الذي يرتبط هو فيه بأبوه الآب . فبنوتهم لله هي نتيجة ارتباطهم بالمسيح الذي هو الابن الحقيقي الكامل لله . وأوضح المسيح ذلك في قوله لتلاميذه " الآب نفسه يحبكم ، لأنكم قد أحببتموني ، وآمنتم أني من عند الله خرجت " (يوحنا 16 : 27) .

قال أحد اللاهوتيين :" أخذ المسيح عن أبيه السماوي الطبيعة الإلهية ، وهو أمر متميز ومختلف عن ناسوته . ويطلق الوحي اسمين على المسيح فيدعوه أحياناً " ابن الله " وأحياناً اخرى " ابن الإنسان " . والاسم " ابن الإنسان " يشير إلى أنه من ذرية آدم ، وإلى أنه نموذج لما يجب ان يكون الإنسان عليه . أما تسمية المسيح " ابن الله " فتشير إلى ألوهيته وكيانه الأزليين . فمن البديهي أن يشير كونه " ابن الإنسان " إلى طبيعته البشرية .

وكما ذكرنا ألقاب المسيح الإلهية لابد أن نذكر أيضاً تلك الصفات الإلهية التي نُسبت للمسيح ، فينسب العهد الجديد للمسيح صفات إلهية ، لا على سبيل المجاملة كما يحدث بين البشر بل صفات من النوع الذي لا يمكن أن يُنسب إلا لله وحده . فيما يلي نعرض قائمة بتلك الصفات :ـ

1) ***<u>كامل وبلا خطية</u>***

لم يطلق الوحي مثل هذه الصفات من الكمال على أى من خلائق الله ، فعُزي للمسيح وحده كمال هذه الصفات ... أما البشر فيقولون " كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد إلى طريقه " (إشعياء 53 :6) . ولقد شهد بطرس في رسالته الأولى عن المسيح أنه : **" لم يفعل خطية ، ولا وُجد في فمه مكر "** وجاء في العبرانيين أن المسيح **:" قدوس بلا شر ولا دنس ، قد انفصل عن الخطاة "** . وتحدث المسيح عن قداسته وكماله ففي يوحنا 8 : 29 أوضح كمال أخلاقه وعصمته ، قال **:" لأني في كل حين أفعل ما يرضيه "** وتحدى

معارضيه وقال :**" من منكم يبكتني على خطية ؟ "** . وقد اعترفت الشياطين ، وهم ألد أعدائه أنه :**" قدوس الله " (مرقس 1 : 24) .**

2) **الأزلي**

لقد جاءت النبوات خلال أسفار العهد القديم تتحدث عن المسيح قبل مجيئه بمئات السنين ، فالنبي إشعياء دعاه في سفره " أباً أبدياً " وقال النبي ميخا عنه " مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل " (5 :2) ، لذلك نجد يوحنا يبدأ بشارته بالكشف عن أزلية المسيح ، فقدم في أول عدد منها تعريفاً مهماً للمسيح كلمة الله المتجسد ، قال " في البدء كان الكلمة " ولا عجب، فالمسيح ملك كل الدهور .

3) **مصدر الحياة**

وصفت بشارة يوحنا المسيح بأنه الخالق المبدع :

" فيه كانت الحياة " (1 :4) " أنا هو القيامة والحياة " (11 : 25)

" انا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي "(14 :6)

4) **الثابت عديم التغيير**

جاء في رسالة العبرانيين عن الابن :**" وأنت(إشارة إلى المسيح) يا رب في البدء أسست الأرض، والسماوات هى عمل يديك. هى تبيد ولكن أنت تبقى ،وكلها كثوب تبلى ، وكرداء تطويها فتتغير .ولكن أنت أنت ، وسنوك لن تفنى "(عبرانيين 1 : 10 – 12) .**

5) **القدرة على كل شئ**

لم تكن قدرة المسيح قاصرة على القول فقط لكنها كانت دائماً مدعمة بالمعجزات التي أجراها علناً وشهد لها الجميع من أصدقاء وأعداء ، ولقد تنبأ إشعياء بميلاد المسيح وقال :**" يولد لنا ولد ونعطى ابناً ، وتكون الرياسة على كتفه ، ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً ، أباً أبدياً ، رئيس السلام " (إشعياء 9 :6) .** وكتب الرسول بولس إلى المؤمنين في أفسس أن الله الآب :**" أخضع كل شئ تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شئ للكنيسة " (أفسس 1 :22) .**

6) **العالم بكل شئ**

كانت مسيرة التاريخ مفتوحة امام عيني المسيح ، فيرى ما سبق وصار ، كما يرى مسبقاً ما سينجزه تلاميذه من أعمال معجزية ، وأخبر عن هزيمة إبليس العتيدة وانتصار ملكوت الله الذي يلازم ذلك . فكل شئ مكشوف أمام عينيه : الأرض والسماء ؛ والأزل و الأبد ؛ والله والإنسان .

7) **موجود في كل مكان وزمان**

المسيح هو **" الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر " (يوحنا 1 :18)** فهو ذو علاقة لاهوتية مباشرة بالله ، وبالرغم من تجسده ووجوده على الأرض بين البشر فإن صلته الوثيقة بالله الآب بقيت دون تغيير ، فإنه **" في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله "** . فالمسيح إذن كان مع الله وبقى عند تجسده في صورة بشرية " كائناً " مع الله .وهذا ما جعل تأثير المسيح تأثير من هو حاضر وحي دائماً وليس ثأثير معلم أو نبي ميت ومقبور .

8) __الخالق__

كتب أحد كبار اللاهوتيين :" يخبرنا الكتاب المقدس أن المسيح هو خالق الكون بأسره ، ما هو منظور وما هو غير منظور . هذا لا يتضمن فقط ما في الكون الطبيعي والمادي من شموس ونجوم لا تُحصى ، بل أيضاً جميع أنواع الحياة الشخصية بما في ذلك الملائكة والبشر . الجميع مدينون له بوجودهم ، وهو يشرف على الكون كله ، حامياً له من التفكك والانحلال والخراب . وتقول كلمة الله إن المسيح هو مصدر كل الأشياء ما يُرى وما لا يُرى ، وهو الغاية النهائية لكل الخليقة . إذن ليس المسيح هو خالق كل الأشياء فقط ، بل إنها جميعاً خُلقت لأجله هو ، فهو الآخِركما هو الأول ، وهو النهاية كما هو البداية " .

9) **__غافر الخطايا__**

عندما شفى يسوع المفلوج وغفر له خطاياه تذمر الكتبة في سرهم ، عرف يسوع ما يدور في قلوبهم وقال لهم **:" لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا " (مرقس 2 : 10)** . وأمر المفلوج ، بعد أن غفرله خطاياه ، أن يحمل سريره ويذهب إلى بيته .

وهكذا ربط المسيح بين قدرته أن يغفر خطايا البشر وأن يشفي أمراضهم . وهو لم يتكلم عن مجرد السلطة على مغفرة خطية الأخرين ، بل أكد أنه هو نفسه البديل الذي يحمل عقاب الخطية عنهم . وأعلن لتلاميذه بعد قيامته من الموت **" يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم " (لوقا 24 : 47)** .

10) **__مؤسس الخلاص__**

هناك الكثير من الشهادات التي أعلنها المسيح عن نفسه أنه هو مؤسس الخلاص ومصدره فلقد قال **:" الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية ، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله " (يوحنا 3 : 36)**

وقال في مطلع صلاته الشفاعية للآب **:" أعطيته سلطاناً على كل جسد ليُعطي حياة أبدية لكل من أعطيته . وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك انت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته " (يوحنا 17 : 2 ، 3)** . وهكذا يستطيع كل إنسان أن يجد خلاص نفسه في المسيح .

11) <u>موضوع الصلاة والعبادة</u>

في مناسبات عديدة سجد البشر للمسيح وعبدوه ، وقبل المسيح ذلك منهم مع أنه **" مكتوب : للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد " (متى 4 : 10) .**

هذا هو الإله الوحيد الذي قدم بركته للمؤمنين بواسطة ما يُعرف بالبركة الرسولية التي تقول **:" نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين " (2 كورنثوس 13 :14) .** وهى صلاة موجهة إلى المسيح لأجل نعمته ، وإلى الآب لأجل محبته ، وإلى الروح القدس لأجل شركته المقدسة .

هذه الحقائق التي أعلنها لنا الوحي الإلهى ليس لها إلا تفسير واحد صحيح ، هو أن الله واحد في ثلاثة أقانيم ، هم جميعاً واحد في الجوهر ، ومتساوون في القدرة والمجد . فكلمة الله تقول **:" التفتوا إلي واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر " (إشعياء 45 : 22) .**

وهكذا تضع كلمة الله اعتراف الإنسان بألوهية المسيح والاتكال عليه اتكالاً مطلقاً شرطاً لنوال الخلاص لأنه المخلص الوحيد ، وهو الطريق الوحيد لنوال الخلاص .

12) <u>ديان كل البشر</u>

يعلن لنا الوحي أن دينونة البشر حقيقة واقعة ، وأكد على أن المسيح هو الديان العادل الذي سيقرر المصير الأبدي لكل البشر ،وربما متى 25 أهم نص في الوحي الإلهي يعلم عن نهاية العالم ، وان المسيح هو الملك الديان فيقول **:" ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسي مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا يا مباركي أبي ، رثوا الملكوت المُعد لكم منذ تأسيس العالم ... ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار : اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته ... فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية " (متى 25 : 31 - 46) .**

ولكن في حديثنا عن ألوهية المسيح لا يفوتنا أن نتطرق لمعجزات المسيح فهل هى كغيرها من المعجزات التي صنعها الرسل والأنبياء؟ أم أنها معجزات ذات طابع خاص ؟

في البداية وقبل الأجابة عن السؤال السابق لأبد أن نعرف معنى المعجزة ، فالمعجزة عمل أو حدث علني تفعله قوة الله المباشرة ، بقصد إثبات صحة رسالة الرسول .

أما عن معجزات المسيح فكانت برهان قاطع على ألوهيته فالمعجزات التي قام بها المسيح تختلف من حيث طبيعتها ومداها وأسلوبها عن المعجزات التي جرت على أيدي الأنبياء والرسل ، فإن المسيح حقق ما حققه من أعمال معجزية بقوته هو ، لا بواسطة قوة خارجة عنه . عندما تحققت المعجزات على أيدي الرسل والأنبياء أصروا دائماً على أن ما عملوه لا يرجع إلى قوتهم الشخصية ، لكن عندما شفى المسيح المرضى وأخرج الأرواح النجسة أو أقام الموتى أو هدّأ الرياح والأمواج ، قام بكل هذا بقوته غير المحدوده . وقد كشف عن تلك الحقيقة بدون تردد قائلاً :**" الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هى تشهد لي " (يوحنا 10 :25) .**

فلقد أبرز المسيح قوته وعظمته وجلاله في كل مرة أجرى فيها معجزة ، مقدماً بذلك برهاناً ساطعاً على ألوهيته .

والجدير بالملاحظة أن عدد المعجزات التي قام بها المسيح كبيراً جداً ، وقد سجل العهد الجديد حوالي أربعين منها كانت بمثابة أمثلة لإبراز قوة المسيح الشفائية ، وقدرته على إقامة الموتى ، وسلطانه على قوى الطبيعة . وهناك إشارات في الإنجيل إلى أن الكثير من معجزات المسيح لم تُسجل (متى 4 : 23 ، 24 ويوحنا 20 : 30).

والسؤال الذي لابد من طرحه :" على أي أساس يقوم مجد المسيح ؟"

وأجابة عن هذا التساؤل نجد كتاب أصول الإيمان يقول :" يقوم مجد السيد المسيح على أساس قيامته من الأموات في اليوم الثالث ، وصعوده إلى السماء ، وجلوسه عن يمين الله الآب ، وعودته ليدين العالم في اليوم الأخير " . فإن تمجيد المسيح يتعلق بطبيعته البشرية ، لأن طبيعته الإلهية لا تتغير فهى غير قابلة للزيادة أو النقصان . أما تواضعه فكان مؤقتاً ، بدأ بولادته وتم بدفنه . ولا يمكن تكرار هذا على الإطلاق . أما ارتفاع السيد المسيح ومجده فإنه مستمر ، بدأ بقيامته وصعوده ، وما زال قائماً حتى الأن ، وهو

جالس عن يمين الله الآب ، ويدير أمور ملكوته بصورة مستمرة . وسيظهر هذا بصورة كاملة عند نهاية العالم حين يأتي بمجد أبيه ، مع الملائكة القديسين ليدين الأمم ويعين لكل فرد مصيره الأبدي .

لم تكن قيامة السيد المسيح مجرد خطوة أولية لتمجيده ، بل كانت أيضاً واحدة من أعظم حقائق الإنجيل . بهذا العمل انتصر المسيح على الموت ، وخرج حياً من القبر . هذا هو البرهان على أن عمله الفدائى ناجحاً تماماً ، وكان انتصاره انتصاراً تاماً على الموت . وأظهرت أيضاً أن عمله هذا قد قام بجميع مطالب الشريعة الإلهية التي سنها الله عند بدء الخليقة : بأن النفس التي تخطئ يجب ان تموت . فلم يُعد للموت أي حكم عليه ، ولا على أي من الذين مات عنهم وافتداهم .

أيضاً برهنت القيامة على أنه ابن الله ، كما قال ، مساوٍ لله الآب ، فهو الله الذي ظهر في الجسد ، ونستطيع أن نجد للقيامة أربعة نتائج واضحة : ـ

ـ <u>النتيجة الأولى</u>

التغيير التام الذي حدث في عقول التلاميذ وقلوبهم . فمع أنهم بعد الصلب كانوا مثبطي العزم تماماً ، ومع أنهم أوشكوا على فقدان الإيمان بالمسيح كالمسيا الحقيقي المنتظر، فإنهم على ضوء القيامة اقتنعوا اقتناعاً كاملاً أن مسيحهم الذي قام من الأموات هو ابن الله، والمسيا الموعود به ، ومخلص العالم .

ـ <u>النتيجة الثانية</u>

هى صعود المسيح حيث يذكر البشير مرقس أنه بعد ان تكلم المسيح مع التلاميذ **" ارتفع إلى السماء ، وجلس عن يمين الله " (مرقس 16 :19)** ويمين الله هو مركز الإكرام والتأثير والقوة والجلال.

إن السماء هى موطن السيد المسيح ، وهى عرشه وهيكله . فالصعود أو الارتفاع شكّلا الوجه المقابل لنزوله إلى الأرض . فأتى في مهمة خاصة للفداء . وإذ أكمل هذا العمل بنجاح تام ، عاد إلى موطنه السماوي ليسترد مكانته الأصلية العليا ، لأن عالمنا ملئ بالشر ، فهو ليس المكان الملائم لوجود الفادي في حالة مجده الكامل . وبما أن المسيح قد جهز كفارة فعلية ، وأوفى كل المتطلبات القانونية المترتبة على شعبه ، فكان يجب أن يضع حياته فى من خصّتهم تلك الكفارة ، وذلك بواسطة عمل الروح القدس . فالروح القدس هو الذي يجدد نفوس البشر ، ويعدهم إعداداً كاملاً

للوطن السماوي . ولكي ينجز هذا فإنه ينير عقولهم ، ويرشدهم ويوجههم إلى الإيمان والتوبة ، ثم يدفع بهم في مسيرة تتزايد نحو التقديس . وبدون قوة الروح القدس المجددة والخلاقة يبقى البشر تحت عبء خطاياهم دون انتفاع بعمل المسيح الخلاصي .

ولكن مباشرة الروح القدس لعمله الجليل هذا تفترض أن تسبقها عودة المسيح المخلص لمجده الأصلي مع الآب . لقد قال المسيح لتلاميذه **:" خير لكم ان أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم " (يوحنا 16 :7).** فالبركة العظيمة الخاصة التي تنبأ عنها الأنبياء وقالوا إنها من ميزات عصر المسيا ، هى بركة الروح القدس . أما منح الكنيسة تلك البركة فكان مرتبطاً بصعود الفادي . لقد تمجد لكي يمنح التوبة ومغفرة الخطايا ، ولكي يجمع شعبه من كل الأمم وفي كل العصور ليصبح عمله الخلاصي فخراً في حياة المؤمنين وكان عرشه السماوي أنسب مكان للكشف عن كمال عمله الكفاري .

ومعاملات الله مع البشر في هذا العالم تشتمل على ثلاثة أشكال متميزة ، لكل أقنوم من أقانيم الثالوث الأقدس صلة خاصة بأحدها . في تدبير الله الأبدي كان يوجد ما يمكننا أن ندعوه تقسيم العمل بين أقانيم اللاهوت ، واتّباع ترتيب معين لما يحدث .

* كان عمل الآب في الخلق والعناية الضابطة لكل شئ . وقد امتد عبر حقبة العهد القديم وحتى ولادة يسوع المسيح في بيت لحم .

* أما عمل الابن فقد اختص بعملية الفداء ، وبدأ بولادته في بيت لحم ، واستمر حتى يوم الخمسين .

* بدأ عمل الروح القدس بشكله الكامل والواضح في يوم الخمسين عندما تأسست كنيسة العهد الجديد . ويمتد هذا العمل الخاص للروح القدس حتى النهاية وحتى اكتمال عملية الخلاص وتجميع الكنيسة .

ــ <u>النتيجة الثالثة</u>

نتيجة ارتفاع المسيح جلوسه عن يمين الله . من هناك يوجه أمور ملكوته ويحافظ على نظامه الكامل . ولكي يكون حُكم وساطته ناجحاً تماماً أُعطي حكماً مطلقاً قال عنه عندما كّلف تلاميذه بتبشير العالم **:" دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض " (متى 28 : 18) .**

ــ <u>النتيجة الرابعة</u>

نتيجة لأرتفاع المسيح سيكون مجيئه الثاني بقوة ومجد عظيم ، ليدين كل العالم . سيظهر في الجسد الممجد الذي قام به محاطاً بالملائكة ، وسيجلس على عرش مجده **" وستنظره كل عين "**
(الرؤيا 1 :7) فيعلن للناس جميعاً خبر ثوابهم أو عقابهم النهائى ، ثم يسلم الملكوت للآب .

ويجب أن نتذكر أن طبيعة يسوع البشرية هى التي ارتفعت ، أي أن الإنسان يسوع المسيح هو الذي أخذ جسد القيامة وصعد إلى السماء ، وستراه كل الشعوب حينما يأتي ثانية إلى العالم في اليوم الأخير .

ولكن لماذا المسيح وحده هو القادر على أتمام عملية الفداء ؟

في الواقع أن أجابتنا عن هذا التساؤل تقتضي أن نتطرق للحديث عن عصمت المسيح ، التي تُعد العمود الفقري لإثبات مؤهلاته ليكون وسيطاً بين الله والناس فلو أنه أخفق ولو في زلة واحدة خلال حياته على الأرض لتهدم كل البناء الذي جاء ليقيمه . فعصمته هي الدليل على أنه ذو طبيعة إلهية ، وعلى أنه الإنسان الصالح الوحيد الذي بقدرته ، المبنية على الطهارة والكمال تمكنه من عمل الفداء وحمل عقاب الآخرين . إضافة إلى ذلك فإن قيامة المسيح من الموت ما كانت لتحدث إطلاقاً لو لم يتمتع المسيح بتلك العصمة المطلقة . وهذه الحقائق من أكثر إعلانات الإنجيل نصاعة ووضوحاً .

ولم تكن الشهادة لعصمة المسيح في الوحي الإلهي مجرد تصريحات ، بل كانت مدعمة بحقائق ملموسة وظاهرة للعيان ، وموضوعة بدرجة أذهلت معاصري المسيح .فلم يكن السبب الوحيد الذي جعل الجموع الغفيرة تتبع المسيح وتؤمن به هو القوة الخارقة التي سيطر فيها على العوامل الطبيعية ولكن بجانب ذلك كان لأخلاقه لمعان وطهارة ، وكان لأسلوبه ودوافع حياته أعظم الأثر على هؤلاء ، بل لعل ذلك هو العامل وراء حياة الطهارة والقداسة التي عاشها ملايين المسيحيين عبر الأجيال.

ولم تأتِ الشهادة لعصمة المسيح من ملائكة الله والمؤمنين فحسب ، بل أيضاً من بعض أعدائه ، فيهوذا الخائن ندم على خيانته ، وألقى بنقود شيوخ اليهود على الأرض ؛ وزوجة بيلاطس التي أزعجها حُلمها عن القبض على يسوع وتسليمه لسلطان زوجها ؛ وبيلاطس نفسه ، إذ أدرك سمو المسيح وطهارته ؛ وأحد الاثنين اللذين صُلبا معه ، إذ أدرك براءة المسيح وطهارته ؛ والقائد الروماني الذي أشرف على صلبه أذهله سمو المسيح الأخلاقي ، ولا تقل شهادة المؤمنين والرسل لعصمة المسيح عن تصريحات هؤلاء خاصة وهم الذين تقربوا إليه وتعرفوا على ما قد

نسميه " حياته الخاصة " وهم بالطبع أول من تقع عليه مسؤولية الرد على ادعاءات المعارضين.

والجدير بالأشارة أن تصريحات المسيح تدل على وعيه الدائم بضرورة القيام دوماً بما يُرضي الله وكان في صراع مستمر ضد مغريات إبليس الهادفة لإسقاطه وتفشيل مهمته الخلاصية ، والواقع أن مواجهته المباشرة مع عدو الخير كانت جزءاً لا يتجزأ من عملية التحضير لخدمته الجهارية ، بل إنها كانت مفتاح تلك الخدمة .

صحيح أن يسوع في تجسده خضع لكافة المغريات وتجارب السقوط في العصيان التي يتعرض لها البشر ، لكنه هو وحده لم يسقط ، وهو وحده لم يكن من الممكن أن يفشل . لقد كان من المستحيل أن يرتكب خطية ، لأنه وهو في طبيعة بشرية محددة كان لا يزال يتمتع بطبيعة إلهية . والله لا يمكن أن يرتكب خطأ . هذا أمر جوهري للغاية يؤهله لأن يأخذ على عاتقه المهمة الخلاصية الهامة التي حملها . من هنا كان لعصمته وكماله حق تحمل نتيجة خطية عدد لا يُحصى من البشر . من هنا أيضاً مثّل انتصاره على الموت انتصاراً على الخطية التي تقودهم إلى الموت ، وبالتالي تأمين الحياة الأبدية الأكيدة له ، وليس مجرد الوفاء بمتطلبات العدالة الإلهية بالنيابة عنهم .

وفي ختام حديثنا عن ألوهية المسيح يكون السؤال الذي لابد من طرحه هو ما أهمية الإيمان بألوهية المسيح ؟ وما هى نتيجة أنكارها ؟

يعلم الكتاب المقدس ألوهية المسيح بجلاء ووضوح . وهذا الأمر مفروغ منه بالنسبة لكل من يؤمن أن الكتاب هو كلمة الله . لا يوجد مجال للجدل في أن يسوع المسيح عرّف نفسه في الإنجيل على أنه الله المتجسد ، ولذلك نقول أن إنكار ألوهية المسيح واعتباره مجرد معلم أو نبي عظيم يتناقض مع مضمون الوحي الإلهي . فإنكار تعاليم الوحي الإلهي يبعد الإنسان عن منبع الحكمة والحق ، ويدفعه إلى تفاسير عقلانية سطحية لأمور لا يمكن فهمها إلا بالحكمة الروحية التي أوحى بها الله . فالحياة كل الحياة تكمن في هذا الإدراك الروحي ، والاعتراف الصادق بألوهية الفادي . هذه هي الحياة الأبدية أن يؤمن البشر بالمسيح المخلص . إن عدم وجود هذا الإيمان الكتابي بالمسيح يقود إلى موت روحي أبدي ، فإن **" الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية ، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله " (يوحنا 3 : 36)** . الإيمان بألوهية المسيح حسب تعليم الكتاب المقدس أمر أساسي للغاية ، ويُعتبر مقياس التمييز بين الحق والباطل يقول الرسول بولس **:" ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس " (1 كورنثوس 12 : 3)** ومعنى هذا : إن الذي استنار من الروح القدس يعترف بالمسيح يسوع رباً ومخلصاً ، لأنه آمن

بألوهية المسيح . فالذي يتأمل يسوع بعينيه غير المستنيرتين من الروح القدس لا يرى فيه سوى إنسانيته . وقد يصل إلى الإقرار بأن المسيح كان نبياً عظيماً ، وأن مبادئه سامية للغاية ، لكن هذا غير كاف ، لأنه نصف الحقيقة . وحالما يجدد الروح القدس الإنسان وينير بصيرته الروحية ، يرى نفسه خاطئاً أمام الله ، محكوماً عليه بالهلاك ، ويرى في نفس الوقت بعين الإيمان الجديدة أن يسوع المسيح هو حقاً ابن الله المتجسد الذي صُلب لأجل خطاياه ، وقام من الأموات وهو جالس عن يمين الله الآب بكل مجد وسلطان .

فإنكار ألوهية المسيح ورفض قبوله مخلصاً شخصياً ، وعدم محبته والثقة به وعبادته وخدمته كإله ، هي أسباب دينونة الله على كل الذين يسمعون الإنجيل ويرفضونه . فإن **" الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية ، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله " (يوحنا 3 : 36) .**

لقد رأينا فيما سبق أن المسيح يتمتع بطبيعة إلهية ، وله كل صفات وألقاب الله . ومع هذا كله يجب أن نذكر أنه وهو على الأرض تمتع بطبيعة بشرية حقيقية وكاملة . فقد كان عظماً من عظامنا ولحماً من لحمنا ، عاش أثناء وجوده على الأرض كأي إنسان آخر ، عُرضة لكل الصعوبات والتجارب والآلام . فمن جهة ناسوته أو طبيعته البشرية ، هو واحد منا تماماً ، كما كان متحداً بالله من جهة طبيعته الإلهية . فعندما كان طفلاً كانت له صفات الأطفال ومشاعرهم ، وعند نموه علمته أمه أمور الله الطاهرة ، وتربى في الناصرة التي لم تكن لها مكانة معتبرة ولا شهرة ذائعة . أما يوسف ومريم فقد احتفظا بكل العجائب التي رافقت طفولته . ومن المرجح أن أمه لم تخبر بها إلا الفريق المقرب من تلاميذه بعد قيامته . أما رفقاء وأقرباء ومعاصرو المسيح فالأغلب أنهم لم يلاحظوا أنه خلال نموه كان يتمتع بمزايا معجزية . ومن المرجح أن يوسف الذي الذي كان خطيب أمه مات قبل أن يبدأ يسوع خدمته الجهارية . وبما أن يسوع كان الابن البكر قام بمسؤولية إعالة أمه وبقية أسرته ، وكنجار كان يعرف معنى الكد اليومي . ومع أن الكتاب المقدس يسمّي المسيح " آدم الثاني " فإنه لم يأت إلى عالم البشر كإنسان بالغ ، بل مر بكل مراحل الاختبارات البشرية من طفولته حتى رجولته . لقد عاش يسوع حياة بشرية في كل لحظة وساعة ويوم من وجوده في عالم البشر .

وقد تضمن أول مواعيد الوحي الإلهي بمجئ المخلص حقيقة ناسوت المسيح ، للتأكيد على أنه سيكون " نسل المرأة " الذي سيسحق رأس الحية . وهذا يدل على أن الله قصد أن يستخدم نائباً بشرياً للقيام بمهمة الفداء . أما الوعد المعطى لإبراهيم

فيدل أيضاً على أن العهد الأبدي المقام معه من الله سيتحقق في نسله . أما داود فكان قد تلقى وعداً أن نسله سيجلس على عرشه من بعده إلى الأبد .

والحقيقة أن العهد الجديد ينسب إلى المسيح مشاعر واختبارات بشرية حقيقية .فيما يلي بعضها :

ـ التعب " فإذ كان يسوع قد تعب من السفر،جلس هكذا على البئر " (يوحنا 4 :6)

ـ الفرح " كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويُكمل فرحكم " (يوحنا 15 : 11) .

ـ الغيظ " فنظر حوله إليهم بغضب ، حزيناً على غلاظة قلوبهم " (مرقس 3 : 5)

ـ الحزن والهم " وابتدأ يحزن ويكتئب " (متى 26 :37) .

ـ التجربة " لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا ، بل مجرب في كل شئ مثلنا ، بلا خطية " (عبرانيين 4 : 15) .

وتدل سلسلة نسب المسيح على ناسوته كما تدل على أنه الوارث الملوكي والشرعي لداود . ثم أن لقب " ابن الإنسان " بغض النظر عما يحويه من معنى شاسع وعميق ، يشير في معناه الأساسي إلى طبيعة المسيح البشرية . وقد آمنت الكنيسة المسيحية بكل طوائفها على مدى العصور والأجيال أن مسيحها لم يكن إلهاً فحسب ، بل كان إنساناً أيضاً .

كان يسوع كأي إنسان فلم يكن عليماً بكل شئ ، لأن الطبيعة البشرية تتصف بالمحدودية ، فكانت له المحدودية التي للبشر ومن نتائجها أنه تعجب من إيمان قائد المئة ، وقال إنه لم يكن يعرف وقت انقضاء العالم ، عندما كان يسوع يشفي المرضى كان يستعمل قوة معجزية فوق طبيعية ، فعندما لمست ثوبه امرأة مصابة بنزيف دم مزمن ، سأل بين الجموع عن الذي لمسه لأنه شعر أن قوة خرجت منه . وعندما أخبره مبعوث أسرة لعازر أن لعازر مريض ، عرف يسوع أن لعازر قد مات ، ورغم معرفة يسوع أن لعازر مات سأل : أين وضعوه ، وبكى مع الأختين الباكيتين . لكنه أظهر قوته المعجزية بإقامة لعازر من الأموات بعد موته بأربعةأيام.

كان من الضروري أن يختبر المسيح كل ما هو للإنسان . ومن الضروري لأن نتأكد نحن من البراهين على صحة وحقيقة وأصالة ناسوت المسيح . ومن الواجب أيضاً أن نتأكد من كمال طبيعته الإلهية . ففي نفس الوقت الذي يبدو فيه المسيح غير عالم بقضية معينة نراه عالماً بكل شئ عنها .وفي نفس الوقت الذي نرى فيه أنه رغب في الحصول على معلومات من مصادر خارجية ، وسأل عن أمور لا يعرفها

، وتعجب من أمور أخرى ، فإنه أظهر أيضاً أنه كان ملماً بكل ما يحدث أوما قد حدث دون أن يخبره أحد .

ورغم ذلك لم يشوش هذا الواقع المزدوج يسوع ولا أزعجه ، ففي كل مكان نرى هذه الحقيقة المزدوجة العجيبة في حياة يسوع المسيح ، فكان يتمتع بطبيعة إلهية وبشرية في آن واحد .

والأن سوف نتناول أكثر الجوانب التي تُثير الكثير من التساؤلات والتي تتعلق بتجسد المسيح فيتساءل الكثيرين كيف صار المسيح إنساناً وهو ابن الله ؟

في البداية نقول أن الله خلق الإنسان ، خلافاً لكل الحيوانات ، على صورته ، وأعطاه طبيعة روحية وعقلية ونفساً حية . ومع أن العنصرين الإلهي والبشري متميزان أحدهما عن الآخر ، وليسا مختلفين ولا متضادين ولا متعارضين ، فالإنسان شرارة من نار عظيمة ، أو إناء فارغ بحاجة لأن يمتلئ من النبع غير المحدود ، فلا معنى لوجوده إلا في صلته بالله . وبما أن الإنسان مخلوق على صورة الله ، أخذ سلطة على مخلوقات الأرض .(تكوين 1 : 28) فصار يتمتع بمركز إلهي مصغر ومحدود . ويقول الوحي الإلهي عن البشر **:" أنا قلت إنكم آلهة ، وبني العلي كلكم " (مزمور 82 : 6)** إذن الترابط بين العنصرين الإلهي والبشري هو من نتائج خلق الله للإنسان . وبما أن الإنسان خُلق على صورة الله ، فإن المسيح ، كلمة الله الأزلي أمكنه وهو كامل الألوهية أن يصبح ابن الإنسان ، لأن الإنسان هو بالطبيعة ابن الله .

لم يكن التجسد غاية في ذاته ، بل كان وسيلة لهدف هو خلاص البشر ، لأن الإنسان بسقوطه في خطية العصيان وعدم الثقة في قول الله فصل نفسه عن الله وضيع كل القدرة على تدبير خلاصه بنفسه . لهذا حدث التجسد ، واحتمل الله على نفسه مسئولية خلاص الإنسان . فالله الذي تجسد في جسم بشري أخذ مكان الإنسان وحمل مسئوليته في تتميم مطالب الشريعة والعدالة الإلهيتين .

لم تكن غاية الله من التجسد أن يوفر الفداء لبني البشر فقط ، بل أيضاً أن يعلن عن ذاته لهم بصورة أكثر كمالاً مما أوضحه كل الأنبياء . في فترة العهد القديم كلم الله البشر بواسطة الأنبياء ، وكشف لهم شيئاً عن طبيعته وعن حالة الإنسان الخاطئة التعيسة ، وعن مخططه الإلهي للخلاص . لكن فترة العهد الجديد تتميز بأن الله جاءنا في المسيح وأعلن لنا وحياً عن نفسه وعن مخطط الخلاص : أن البشر بأعينهم المجردة رأوا من هو الله في الحقيقة **:" الله لم يره أحد قط " (يوحنا 1 : 18)** لكن في المسيح ، الله الذي هو الروح غير المحدود ، كشف عن نفسه للبشر

في هيئة البشر المحدودة ، فصار في استطاعة البشر المحدودين يدركوه في نطاق قدرتهم المحدودة . وعندما دخل المسيح في هذه العلاقة الشخصية مع الطبيعة البشرية أضفى عليها بركة لا تُوصف نتيجة تدخل اللاهوت فيها بالتجسد . وبهذا فإن الطبيعة البشرية أصبحت ذات مكانة أسمى من مكانة الملائكة ، لأن الله لم يختر أن يقترب بمثل هذه العلاقة الشخصية الحميمة مع أي من خلائقه سوى مع البشر .

والجدير بالذكر أن الطبيعة البشرية التي اتخذها المسيح لنفسه في التجسد ستبقى له إلى الأبد . لقد أحضرها معه حين قام من الموت وعاد بها إلى الآب . ففي السماء ظهر ليوحنا كشبه ابن إنسان في صورة بشرية . فبقيامة المسيح وصعوده وجلوسه على عرش العظمة والقوة رفع معه الطبيعة البشرية ، وأوصلها فوق كل مكانة في الكون . إن الإقامة القصيرة التي قضاها على الأرض لم تكن مجرد حضور إلهي أو ظهور وقتي لله في صورة بشرية ، بل كانت تجسداً حقيقياً ودائماً .

وقد شاهد بعض شخصيات العهد القديم ظهورات إلهية ، مثل إبراهيم (تك 18 : 1 – 33) ؛ ويعقوب (تك 32 : 24 – 30) ؛ وموسى (خروج 24 : 9 – 11 ، 34 : 5،6) ؛ ويشوع (يش 5 :13 – 15) ؛ ووالدي شمشون (قض 13 : 2 – 22) ؛ وإشعياء (إش 6 : 1– 5) ؛ والفتية الثلاثة شدرخ وميشخ وعبدنغو (دانيال 3 : 2 - 30) . لكن تجسد المسيح كان يختلف عن تلك الظهورات اختلافاً جوهرياً . ففي التجسد وُلد كطفل في بيت لحم ، ولمدة ثلاث وثلاثين سنة استمرالاتصال بين الله والطبيعة البشرية ، بصورة بدت فيها الطبيعة البشرية واضحة جلية.

وفي تناولنا لإنسانية المسيح لا يمكن أن نغفل عن تناول الميلاد العذراوي للمسيح ، فسجل ميلاد المسيح ينسجم مع مكانته العظيمة ورسالته السامية بين البشر ، فادياً لهم ووسيطاً بينهم وبين الله. وقد ظهرت ملامح ألوهيته وبشريته معاً في ولادته العذراوية ، واستمرت تزيد وضوحاً أثناء حياته الأرضية وحتى قيامته من الأموات بعد صلبه ، فلم يُعد هناك شك في أنه ابن العذراء ، الإله المتجسد ، الذي انتظرت أجيال المؤمنين مجيئه .

وقد دل ميلاد المسيح من العذراء على أمرين هامين بالنسبة لهويته :

ــ أولاً : إن طبيعته الإلهية لم يكن لها أم .

ــ ثانياً : إن طبيعته البشرية لم يكن لها أب .

ابن الإنسان لم يكن ابن أى إنسان . ثم أن هذين الأمرين فصلا المسيح عن الطبيعة الساقطة الموروثة عن آدم التي أصابت باقي البشر ، فلولا ميلاده العذراوي لما

صلح لتنفيذ عملية الخلاص كإنسان ، لأنه بدون ذلك يكون قد وُلد في الخطية كباقي البشر . ولولا ميلاده العذراوي ما كان حمل تلك الهوية والطبيعة الإلهية غير المحدودة ، التي تمكنه وحدها أن يقوم بحمل خطايا عدد لا يُحصى من البشر الهالكين .

ونلاحظ في تناولنا لإنسانية المسيح مدى تواضعه فيبدأ اتضاعه بولادته في حالة متدنية ونقول إنه حتى لو دخل العالم كملك متسربل بالأرجوان ومتوج بالذهب لكان ذلك تنازلاً كبيراً ،أما أن يولد كطفل عاجز يتكل تماماً على أمه ، وأن يكون فقيراً لدرجة أنه لم يكن له مكان يسند فيه رأسه ، ومع أنه كان مصدر الشريعة نفسها ، فقد اعتاد في نموه على محدودية كيانه البشري ، وأخضع نفسه للختان . ولقد دفعته خدمته الجهارية للاتصال بكل أصناف البشر ،فلقد تحمل مشقات هذه الحياة وغضب الله والموت المهين على الصليب ودفنه ومكوثه تحت سلطان الموت إلى حين ، فلقد وصلت المذلة إلى ذروتها عندما جره أعداؤه محتقراً ومذلولاً وسط صيحات السخرية والصياح :" اصلبه ! اصلبه ! " .فبدأ يتحمل الدينونة الهائلة التي كان قد سبق رآها آتية على الأمة اليهودية . وكان ألمه وموته على الصليب أشد أنواع الموت وأكثرها رهبة وعذاباً.

تحمل العقاب الذي نستحقه نحن . وهكذا كفر عن خطايانا . فلا يمكننا أن نلقي مسئولية صلبه على يهود وروماني ذلك العصر وحدهم ، بل علينا أن نتوب ونتواضع ونعترف بمظهر الجريمة الأوسع ... فخطيتنا نحن ، وخطيتهم هم جلبت عليه تلك الآلام المبرحة . لقد تألم بصورة خاصة لأجل المعذبين أفراداً وجماعات ، بغض النظر عن العصر الذي يعيشون فيه ، لأنه حمل عنهم ذلك العقاب . ثم أن اتضاع المسيح تم بدفنه في مقبرة أُعدت لبشر لم يكن موتهم متوقعاً فحسب ، بل كان أمراً محتوماً ، ففي دفنه اشترك مع كل البشر الذين يموتون ويُدفنون ، والذين تتحلل أجسادهم وتنتهي . ولكن جسده لم يتحلل ، فقد قام أمجد قيامة بعد ثلاثة أيام .

وبعد الإشارة إلى ألوهية المسيح وإنسانيته يأتي اللغز وهو كيفية توافق ألوهية المسيح وإنسانيته؟

ونقول أن أهم وأخطر الانحرافات العقائدية في تاريخ المسيحية هو ما نشأ عن عدم وضوح العلاقة بين طبيعتي المسيح ، الإلهية والبشرية . وكانت هذه الانحرافات قد أخلت بالتوافق القائم بين هاتين الطبيعتين بتفضيل إحداهما على الأخرى ، أو إعطاء الواحدة مكانة تُفقد الطبيعة الأخرى نصيبها أو دورها في اتزان شخصية المسيح ، بسبب إساءة فهم فقرة أو أخرى من الوحي الإلهي خصوصاً وأن سجلات هذا

الوحي تشتمل على تعبيرات فيها تنبير على طبيعة المسيح الإلهية ، وأخرى فيها تنبير على طبيعته البشرية ، إلى جانب تلك التي تجمع بين خواص الطبيعتين .

من هنا كانت إمكانية إساءة الفهم ، لأن البعض بنوا استنتاجاتهم على أساس أن المسيح إله فقط ، وفتشوا على ما يؤكد مزاعمهم هذه في الوحي الإلهي . وأكد البعض الآخر على أنه مجرد إنسان وحاولوا أيضاً أن يثبتوا ذلك من نصوص الوحي الإلهي في تلك التعبيرات التي ترتكز على جانب الطبيعة البشرية فيه . وهكذا ظهرت البدعة تلو الأخرى نتيجة لعدم التمسك بالهيكل الكامل للحقيقة .

والجدير بالذكر ان الرب في التجسد أضاف إلى طبيعته الإلهية طبيعة بشرية ، وهذا يكون شخصية مزدوجة . لم تكن الإضافة بمعنى وجودشخصية إضافية ، بل بمعنى إضافة نوعية بشرية إلى الطبيعة اللاهوتية . ففي الوقت الذي لم يتخل فيه عن طبيعته الإلهية لم يتخذ لنفسه شخصية جديدة ، بل أخذ لنفسه جميع الجوانب البشرية الاعتيادية التي يتمتع بها البشر ، أي أنه أصبح إلى جانب كونه إلهاً إنساناً أيضاً . هذا كان في طبيعتين متميزتين ، ولكنه كما كان منذ الأزل ، بقى هو ذاته شخصاً واحداً .

وإن كنا نعتبر ذلك لغزاً إلا أن طبيعة هذا اللغز ليست غريبة على اختبارنا نحن البشر ، فهذا اللغز كامن في طبيعتنا البشرية نحن أيضاً . إن الإنسان يحتوي على جوهرين مختلفين في الأساس . فهو روح أو نفس غير مادية ، خاضعة لتأثيرات فكرية وروحية ... ولكنه جسد مادي خاضع لكل العوامل والقوى الفيزيائية والكيميائية والكهربائية التي تعمل في العالم من حوله . هذان الجانبان في الطبيعة البشرية لم يُصهرا ولم يختلطا ، ولم تكن نتيجتهما هيكلاً ثالثاً دُعى " إنسانياً " . بل أن هذين الجانبين بقيا قائمين أحدهما إلى جانب الآخر في توافق كامل ، كما بقيت خواص كل منهما متميزة في الإنسان ذاته . وظل كل منهما خاضعاً لشرائع دوره بكل دقة كما لو أنه كان منفصلاً انفصال كاملاً عن الآخر . ومع ذلك ، عند الإشارة إلى أي من هذه الخواص الإنسانية تكون الإشارة إلى شخصه بالذات . فلا نقول " جسد فلان عمل كذا " أو " نفس فلان قالت أو فكرت كذا " بل نقول " فلان عمل وفكر وقال كذا وكذا ".

هكذا الأمر بالنسبة لطبيعتي المسيح ، فمع أنهما متميزتان إحداهما عن الأخرى فإن ما يُنسب لإحداهما يُنسب لشخص المسيح ككل . فهو إذن محدود كإنسان ولكنه غير محدود كالله ، وهو ذو بداية كإنسان عند ولادته في بيت لحم ، ولكنه أيضاً هو الله الموجود أزلاً . وكان كلي المعرفة ، وفي نفس الوقت كانت طبيعته البشرية محدودة المعرفة ، هو الذي شعر بالإرهاق أثناء رحلاته ، وفي نفس الوقت هو " حامل كل

الأشياء بكلمة قدرته " ، وهو الذي أخذ لنفسه " صورة عبد " تمتع بكونه " صورة الله " ، حزنت نفسه واضطربت وهو " رئيس السلام " (أي مصدره) . صعد إلى السماء وغاب عن تلاميذه وكنيسته ، لكنه هو نفسه الذي قال :" حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي أكون في وسطهم " (متى 18 : 20) .

ونقول أنه كان من الضروري لفادي البشر أن يكون إلهاً وإنساناً معاً ، لذلك صار إنساناً ليأخذ محل الإنسان فيتألم ويموت بدله . فلو كان إلهاً فقط لما أمكنه عمل ذلك . وضرورة كونه إلهاً هي لإعطاء القيمة والمدى غير المحدودين المطلوبين في الذبيحة الصالحة للتكفير عن خطايا البشر .

من ناحية أخرى : لوكان المسيح مجرد إنسان لما كان بإمكانه الموت حتى عن شخص واحد .

خلاصة الأمر إذن أن طبيعته البشرية جعلت ألمه وموته ممكنين ، بينما طبيعته الإلهية جعلت لهذين العنصرين : الألم والموت ، القيمة والمدى غير المحدودين والصالحين لتمثيل عدد لا يُحصى من الخطاة . فلقد وحّد المسيح في تجسده مع نفسه طبيعة بشرية ، وبقيت شخصيته واحدة متحدة متجانسة ومتناسقة دون تشويش أو اختلال .

وهكذا نرى أن الانسجام الكامل في طبيعتي المسيح (الإلهية والبشرية) له موقع مركزي وحيوي لتحقيق جميع المقاصد الإلهية المتعلقة بعالم البشر ، وليس فيما خص عملية الخلاص وحدها . لكن تنفيذ عملية الخلاص هو جزء لا يتجزأ من مجمل تلك المقاصد . . أما تحقيق المسيح لجميع هذه المقاصد الأزلية ، وعلى رأسها فداء البشر ، فقد جرى ضمن ثلاث وظائف ، ووجب عليه أن يكون نبياً وكاهناً وملكاً .

أولاً : المسيح النبي

كانت وظيفة المسيح النبوية ضمن العوامل المميزة للمسيا الذي تنبأت عنه أسفار العهد القديم ، فقال موسى :**"يُقيم الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي . له تسمعون "(تثنية 18 : 15)**وتختص وظيفة النبوة في الكتاب المقدس بالذين تكلموا للبشر بالنيابة عن الله .وما أوحى الله لهم به كان ذا طبيعة تمهيدية وغير مكتملة ، وكانوا جميعاً يرمزون للمسيح النبي الأعظم ، الذي كانوا قد أتوا ليمهدوا لمجيئه .

يعتقد البعض أن الله أرسل مزيداً من الأنبياء الواحد تلو الآخر لأن الأنبياء السابقين لم ينجحوا في إتمام مهماتهم ، أولسبب حاجة الناس لمن يذكرهم بما سبق وأوحى به

للأنبياء السابقين . وهذا ليس صحيحاً ، فإن أنبياء الله لم يفشلوا في تحقيق ما أرادهم الله أن يحققوه . أما سبب كثرة الأنبياء في حقبة العهد القديم فسببه أن لكل منهم دوره في التمهيد لمجئ المسيح . ولما كان الله صاحب كل سلطان فقد أعطى عصمة خاصة لأنبيائه حين دونوا الوحي كاملاً بدون خطأ . وهو في نفس الوقت ؛ بحكمته وسلطانه ، عمل على حماية ما دونوه من التحريف أو الضياع ، عبر الأجيال .

وقد قام كل نبي بدوره بكل أمانة وجدارة ، مدعماً بقوة الله في التحضير التدريجي لمجئ المسيح . فلو أن الله كشف عن كل شئ دفعة واحدة لما استطاع البشر أن يستوعبوه ، لهذا كانت طبيعة الوحي الإلهي تدريجية وتقدمية، وهذا هو السر الحقيقي وراء ذلك الترابط والتكامل بين أدوار الأنبياء في أسفار الكتاب المقدس . إن المرء الذي يتأمل بالتدقيق في مسيرة هؤلاء الأنبياء لابد أن يرى أن الوحي الإلهي قد أخذ شكل هرم متدرج ، بنى فيه كل نبي على ما سبق وبناه أنبياء من قبله . أما قمة الهرم فيقف عليها المسيح مُكمل الوحي وخاتمه . ليست هذه صورة خيالية أو تخميناً بشرياً ، بل هى ما وصفه الرب على فم الرسول بولس :" مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية ، الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب " (أفسس 2 : 20 ، 21) .

بيد أن هناك اختلافاً جوهرياً آخر بين دور المسيح كنبي وأدوار أنبياء الله . لقد تكلم الأنبياء كبشر مسوقين من عند الله وليس من عندهم ، بينما تكلم المسيح كالله . كانوا دائماً يصحبون رسالتهم بتعبيرات مثل :" هكذا يقول الرب " ولم تكن لديهم السلطة ولا القدرة على قول أي شئ بالنيابة عن الله ، إلا ما أوحى به لهم . أما يسوع فكان يؤكد في رسالته على الدوام أنه يقول ما يقوله بسلطانه هو . عندما أشار لأقوال الأنبياء قال : " قيل لكم " لكن عندما أشار إلى ما يقوله هو قال :" أما أنا فأقول " أو " الحق الحق أقول لكم " . تحدث الأنبياء بالنيابة عن الله ، أما المسيح فتحدث بالأصالة عن نفسه وانطلاقاً من سلطانه الشخصي ، ولقد أعطى المسيح رسله الذين أوحى لهم بكتابة الإنجيل سلطاناً في مسئولياتهم النبوية . ففي مهمة المسيح النبوية عبر عن سلطان لم يكن للأنبياء البشر، بالإضافة إلى تعبيره عن حقه في إعطائهم سلطاناً يؤدون به مسئوليتهم .

وفي النهاية لأبد أن نقول إن " روح المسيح " هوالذي دل الأنبياء وقادهم وأوحى إليهم من قبل تجسده . كما أن مهمة المسيح النبوية امتدت إلى المستقبل ، حتى بعد عودته إلى يمين العظمة في السماء لأنها كانت ذات فعالية قبل وأثناء تجسده . فهو إذ صعد إلى السماء واصل خدمته النبوية برسله الأطهار . ثم أنه لا يزال يقوم

بمهمته النبوية بواسطة الروح القدس المعزي الذي أرسله إلى الكنيسة لينعشها ويقويها لتقوم بمطالب كلمته الطاهرة .

ثانياً : المسيح الكاهن

كانت وظيفة المسيح الكهنوتية أيضاً ضمن الخواص المميزة للمسيا الذي تنبأت عنه أسفار العهد القديم ، فقد قيل عنه **:" أنت كاهن إلى الأبد " (مز110 : 4)** . أما الوصف الكامل لمركزه وخدمته الكهنوتية فقد ورد قبل مجيئه إلى عالم البشر بنحو سبعمائة سنة بفم النبي إشعياء في أصحاح 53 . وتُعتبر وظيفة الكهنوت في الكتاب المقدس موازية لوظيفة النبوة . فبينما ينقل النبي رسالة من الله إلى البشر ، فإن الكاهن هو الذي يمثل البشر أمام الله ؛ إما بتقديم ذبائحهم لله نيابة عنهم ، أو بنقل صلواتهم وطلباتهم إلى الله . وسبب ذلك أن البشر فقدوا القدرة على الوقوف أمام الله بأنفسهم بسبب فسادهم وخطيتهم . لهذا رتب الله وجود الكهنة من بين البشر الذين أهلهم وأعدهم للقيام بتلك المهمة الكهنوتية . فلم يكن الشخص العادي يقدر أن يقترب من قدس الأقداس داخل الهيكل حيث تُقدم الذبائح والصلوات الشفاعية الخاصة ، لأن الإنسان في حالته الساقطة منفصل أخلاقياً وروحياً عن الله فلا يقدر أن يقف في محضر الله بنفسه . أما الكهنة الذين أقامهم الله عبر أجيال حقبة العهد القديم فقد أُعطوا الحق في تمثيل بني البشر أمام المحضر الإلهي ، فكان الكاهن يقوم بإعادة العلاقة الطبيعية التي كانت بين الله وبني البشر إلى ما كانت عليه قبل السقوط ، ولو بشكل جزئي ومؤقت ، فكان الكاهن يقوم بمسئوولية الاعتراف العلني بخطية وعصيان من يمثلهم أمام الله ، كما يقوم بتقديم الذبائح الرمزية التي تعبر عن الرغبة في التوبة عن حالة التمرد تلك والتكفير عنها .

في العهد الجديد نرى أن كهنة العهد القديم لم تكن مهمتهم رغم عظمتها وفعاليتها وجديتها سوى مهمة رمزية ، ترمز إلى الكاهن الأعظم الذي سعى هؤلاء الكهنة للتشبه به . إن المسيح هو المرموز إليه في الذبائح والصلوات التي قاموا بتقديمها .

وكما تميز يسوع كنبي عن جميع الأنبياء ، تميز أيضاً عن جميع الكهنة . هذا ما نراه في جانبي خدمته الكهنوتية بوضوح : أى في عمله الكفاري كفادي البشر وممثلهم الحقيقي أمام الله ، وفي عمل وساطته وخدمته الشفاعية كالممثل الأوحد لكنيسته المفدية ، أمام الله .

ويشرح الوحي الإلهي عمل المسيح الكفاري ، وهو أنه هو وحده الذي كان مؤهلاً لأن يكون فادي البشر ، والذي باستطاعته معالجة معضلة سقوطهم وخطيتهم . وما

كانت ذبائح العهد القديم سوى رموز يتذكر بها البشر خطيتهم ، ويتطلعون إلى قدوم المخلص الذي يموت قانونياً بالنيابة عنهم .

وتختلف ذبيحة المسيح عن ذبائح الكهنة في عدة جوانب :

أولاً : هى ذبيحة حقيقية

فالذبائح السابقة لم تكن لها سوى فائدة واحدة ، هي أنها كانت ترمز إليه ، أما يسوع فكان طاهراً ، ولا يحل محل الإنسان سوى إنسان **" لذلك عند دخوله إلى العالم يقول : ذبيحة وقرباناً لم تُرد ، ولكن هيأت لي جسداً "(عبرانيين 10 : 5) .**

ثانياً : هي ذات مدى غير محدود

فهو كالكاهن الإلهي غير المحدود قدم ذبيحة غير محدودة الفعالية **" لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية ، بل إلى السماء عينها ، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا . ولا ليقدم نفسه مراراً كثيرة ، كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنةٍ بدم آخر " (عبرانيين 9 : 24 ، 25) .**

ثالثاً : هي أبدية الأثر

" فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة .. فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة ، جلس إلى الأبد عن يمين الله ... لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين " (عبرانيين 10 : 10 ، 12 ، 14) .

إاى جانب الذبيحة العظمى التي قدمها يسوع كفارة عن خطايا الكثيرين ، فإن وظيفة الكهنوتية لها جانب آخر هو شفاعتنه بالنيابة عن مفدييه **:" إن أخطأ أحد (أي من المؤمنين) فلنا شفيع عند الآب ، يسوع المسيح البار " (1 يوحنا 2 : 1)** . والشفيع هو الشخص الذي يعين المذنبين ويدافع عنهم ، وهو محامي الدفاع أمام محكمة العدالة الإلهية . أما عظمة شفاعة المسيح فقاعدتها هي عظمة ذبيحة الكفارة . أما نتيجة تلك الشفاعة النهائية فهي في مجيئه الثاني **" هكذا المسيح أيضاً ، بعدما قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين ، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه " (عبرانيين 9 : 28) .**

<u>ثالثاً : المسيح الملك</u>

من الطبيعي جداً أن يكون للمسيح نصيبه الأزلي في حُكم هذا الكون بطبيعته الإلهية . لكن للمسيح مكانته الملكية الخاصة بصفته الوسيط بين الله والناس ، مخلص البشر الخطاة . إذن ملكية المسيح تتعلق به كابن الله المتجسد ، فهو في طبيعته البشرية

إنسان أُعطى سلطاناً خاصاً لتكميل ملكوته الروحي في الكنيسة ، وذلك بحفظها وحمايتها وقيادتها نحو المجد الأبدي .

هذا من جهة ؛ ومن جهة ثانية فإن المسيح بصفته الفادي والوسيط ، لديه سلطان خاص كملك على كل المخلوقات ، بما في ذلك الأبالسة والبشر غير المؤمنين . هذا بالطبع يرجع إلى ملكيته الفريدة في النهاية عندما يضع جميع أعدائه موطئاً لقدميه ، وحين يكون قد أخضع الكل وصار الكل في الكل . إن الجانب الأول من ملكية المسيح إذن يرتبط بعلاقته بالمفديين . فهو ملكهم الروحي ، وله سلطة على خلاص وفداء النفس .

هذا الجانب الروحي لملكية المسيح هو في موضعه الملكي على شعبه المؤمن . وهذه الملكية تتخذ إطاراً روحياً على قلوب وحياة المؤمنين ، ولها بُعد روحي هو خلاص الخطاة .

أما وسائط هذا الجانب من مُلكه فهي روحية أيضاً : فهو يحكم بواسطة كلمته وروحه . وهو يعبّر عن مُلكه هذا بتجميع وحكم وحماية كنيسته ، ويُسمى في العهد الجديد " ملكوت الله " أو " ملكوت السموات " ومهما تكن التسمية فإن أعضاء الملكوت الروحي الذي يملك عليهم المسيح هم المؤمنين أعضاء كنيسته الحقيقية المفدية التي اقتناها بدمه (أعمال 20 : 28)

لكن للتأثير الروحي لمملكة المسيح ، الذي هو ملكوت النور ، بُعد أوسع من حياة المؤمنين . فحيثما وُجدت كنيسته وتزايد تأثيرها على المجتمع ، يُلاحظ نمو غير عادي للأمانة والمحبة والعدالة والطهارة والقداسة والجد والتضحية والسلام . هذا ما يوضحه مثلا الزارع والشبكة اللذان ضربهما المسيح (متى 13 : 24 - 30 و 47 - 50) . فعندما يملك المسيح على قلب البشر ينقلهم من ملكوت الظلمة ، حيث هم بالطبيعة مستعبدين للشر ، إلى ملكوت النور حيث كل جمال وحُسن وصلاح ، وإذ يرى الناس الحياة المتغيرة في هؤلاء و المخلوقة من جديد بواسطة روح المسيح ، يمجدون الله (متى 5 : 16) . من هنا كان امتداد تأثير ملكوت المسيح.

لكن ملكوت المسيح المعطَى له بعد التجسد امتد بشكل أوسع بعد قيامته ، فقال لتلاميذه **:" دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض " (متى 28 : 18)** . كان هذا جزءاً لا يتجزأمن مقاصد الله الأزلية . ومع أنه قبل تجسده كان يتمتع بمثل هذا السلطان على كل شئ ، إلا أنه بعد قيامته رسخ بشكل جديد مُلكه على الكل ، وهو في ذلك يتحكم في مسار التاريخ البشري بأسره ، لأجل تكميل عمله الكفاري ،

ولأجل حماية كنيسته من كل خطر من شأنه عرقلة مسيرتها الروحية نحو الكمال الذي أراده لها .

ومن خلال كل ما سبق ندرك أن المسيح وحده هو مكمل الوحي ، فنجد أن أسفار العهد القديم تحتوي على الكثير من النبوات الي وجّهت المؤمنين وجهزتهم لمجئ المسيح إلى عالمهم البشري ، إذ يظهر المسيا الأتي كالغاية النهائية لكل شئ ، حين يعلن الرب الإله عن نفسه في ألمع وأكثر الصور وضوحاً ، فنرى " عمانوئيل " أي أن الله حل بين البشر .

أما تحقيق السيد المسيح لمواصفات النبوات فمُذهل في دقته وتفاصيله ، لأنه يُعرف المرء أن المسيح هو وحده الذي يعطي مسار الوحي الإلهي في العهد القديم مغزاه وقصده وكماله .

بدأت نبوات العهد القديم الخاصة بقدوم المخلص مع بداية سجلات الوحي الإلهي نفسها ، وسارت جنباً إلى جنب مع تطورات الأحداث . فعندما حدث السقوط نتيجة العصيان والأكل من الشجرة المحرمة وعد الرب آدم وحواء أنه من نسل حواء سيأتي من يسحق رأس الحية التي دبرت المكيدة . إن لهذا علاقة خاصة بميلاد المسيح العذراوي من امرأة . من هنا طبق الوحي الإلهي ذلك القول على أسلوب مجئ المسيح بالقول :**" لما جاء ملء الزمان ، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة " (غلاطية 4 :4)** . وكان لا بد للمسيح ، نسل المرأة ، أن يتصارع وجهاً لوجه مع الشيطان مدبر السقوط ، لأن المسيح هو المخلص ، فواجه المسيح إبليس في ثلاث تجارب قبل شروعه في خدمته العلنية (لوقا 4 : 1 - 14) ، هزم فيها إبليس ودحره . كما هزم إبليس عندما أخرج الشياطين من أماكن سكنهم في عشرات البشر . لهذا دُعي المسيح " محررا".

وقد سبق مجئ المسيح إلى عالمنا كثيرون ادعى كل منهم أنه " المخلص المنتظر " لكن سرعان ما سقطت إدعاءتهم لما ظهر ان المسيح وحده هو الذي انطبقت عليه أوصاف وتوقعات نبوات الوحي الإلهي . لعل هذا هو السبب الرئيسي من وراء وجود تلك التفاصيل الدقيقة في النبوات عن المخلص المنشود .

ويتساءل البعض عن أهمية سلسلتي أنساب المسيح التي أوردتها بشارتا متى ولوقا . لكن تلك الأهمية كامنة في ضرورة التيقن المطلق من صحة هويته . فقد كان مفروضاً أن يأتي من نسل إبراهيم عبر ابنه إسحق وحفيده يعقوب ، من سبط يهوذا ومن نسل داود بالذات أيضاً . كما كان من المفترض أن يُلد في بيت لحم ، وأن

يقضي بعضاً من طفولته في مصر ، وتكون نشأته في الجليل . كل هذه كانت أدلة وبراهين تاريخية توفرت فيه .

لكن نبوات الوحي الإلهي تطرقت لمواصفات أخرى يجب توفرها في المسيا المنتظر ، لها علاقة حيوية ومباشرة بمهمته الخلاصية كالإنسان المعصوم من الخطأ ، المؤهل لأخذ مكان البشر ، وكالله المتجسد الذي وحده يقدر أن يقوم بالمهمة المرسومة . من جهة طبيعته البشرية كان لابد أن يتمتع بعاطفة قوية ومحبة قلبية لبني البشر ، تعبيراً عن استعداده للتألم والموت عنهم ، أما من جهة طبيعته الإلهية فقد كان من الضروري إدراك أن وجوده سابق لميلاده ، وأنه " أتى " إلى عالم البشر من عالم آخر . كان من المفروض أيضاً أن تنطبق عليه أوصاف لا تنطبق إلا على الله ، فيُدعى " عمانوئيل " (أى أن الله حل مع البشر) .و" يسوع " (أي المخلص) و " الإله القدير " و " الآب الأبدي " و " رئيس السلام " .

لكن دور النبوات التي قدمت إشارات ومواصفات مباشرة عن المخلص الآتي يبقى جوهرياً في العملية كلها . فقد كان ضرورياً أن يُعطي البشر الأدلة والعلامات التي تمكنهم من التمييز بين من ادعوا كذباً أنهم المسيا المنتظر ، وبين صدق المسيا الحقيقي . فلو أن الأمر تُرك لهم للتخمين لفقدت سجلات الوحي الإلهي هدفها وحيوتها وانسجامها ، ولبقى الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام كل مدعي نبوة أن يطبق على نفسه مواعيد الله بقدوم المخلص .

وقد اعتبر الأنبياء الذين أوحى لهم الله بتفاصيل قدوم المخلص أنهم أدوات طيعة في التمهيد لذلك الحدث الذي سيكون في " الأيام الأخيرة " أو في " ملء الزمان " . ونقول أن المسيح لم يحقق نبوات العهد القديم فحسب ، بل أنه كان محور وقصد كل ما تضمنه الوحي الإلهي .

وفي ختام تناولنا لموضوع تجسد المسيح يكون السؤال الذي لابد من طرحه هو هل حياة المسيح حققت خطة الخلاص ؟

عندما ندرس تعاليم المخلص في الإنجيل المقدس ، ندرك أن المسيح جاء إلى عالم البشر ليتمم رسالة خاصة ، وأنه عاش حياته وحقق عمله الخلاصي تبعاً لمخطط إلهي رُسم مسبقاً . وكان ذلك المخطط واضحاً أمام عينيه، كما يظهر لنا منذ بدء حياته العلنية . وبالرغم من أهمية كل لحظة في حياته فإنه لم تبدُ عليه ملامح استعجال الأمور ، لأنه كان يملك الوقت الكافي ليقوم بكل تفاصيل مهمته الخلاصية . ولم يكن مرة واحدة فريسة للظرف ، بل كان دائماً سيدها وموجهها . لم تبعده

معارضة البشر عن هدفه المنشود ، إذ أنه سار نحو تحقيق الرسالة التي أسندها الله إليه .

كانت حياة المسيح تهدف إلى ضرورة إنجاز ذلك المخطط الإلهي ، فقال في مستهل خدمته العلنية **:" ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله ، لأني لهذا قد أُرسلت " (لوقا 4 : 43) .**

لم تكن الأمور التي مر بها المسيح طيلة حياته متوقعة فحسب أم سبق وأخبرت بها نبوات الأنبياء ، بل إن الأنجيل عرضها جميعاً كأمور حتمية في عملية إنجاز رسالة المسيح الخلاصية.

إن قيام شخص يتمتع بمثل هذه المكانة الإلهية بمهمة كهذه ، لابد أن يكون متواضعاً في كل خطوة مع أنه اختبر مقاومة مُرّة من معارضيه ومن رجال الدين اليهود .

وقد أظهر المسيح تواضعه بأخذه طبيعة بشرية ، وولد طفلاً ضعيفاً ، معرضاً لكافة محدوديات وضعفات الطبيعة البشرية لثلاث وثلاثين سنة . ومع ذلك توصف رسالته في الإنجيل على أساس أن كل عنصر فيها تم على أكمل وجه وبصورة لا يعتريها تكلف . فكل فكرة عُرضت على المسيح للتهرب من تتميم رسالته باستخدام قوته الفائقة الطبيعة وربح مجد البشر ، نظر إليها كتجربة من عند الشيطان . لقد جاء إلى عالمنا لإتمام رسالة واحدة ، هى أن يكون كفارة عن الخطية بصليبه .

لابد أن المسيح عرّف نفسه ، لا كمن هو في حاجة إلى خلاص ، بل كمخلص ؛ ولا كعضو في جماعة الإيمان (أي الكنيسة) بل كرأسها ؛ ولا كمؤمن مثالي ، بل كمن هو موضوع إيمان جميع المؤمنين . وهو لم يصلّ فقط ، بل هو من تُرفع إليه الصلاة . ثم أخيراً قدم نفسه ليس معلّما للبشر فحسب ، بل رباً وسيداً لهم .

ونقول في النهاية أن كل الأمور التي قادت إلى هذا العمل الأساسي كان قد رسمها الله بالذات ، لا ككوارث بل كانتصارات حددها هو بنفسه ، وليس أعداؤه . ومع أن عملية الصلب بدت غريبة لتلاميذه ، إلا أنها لم تكن سوى تكملة لمهمة جاء ليقوم بها ، لفتح باب جديد وثابت لملكوت من الحياة .